الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1205
2024/9/17

اسرج خيلك للمنتهى

أول الكلام

جوريا داماسكينا

▪ ديب علي حسن

أن تنكب على قراءة رواية حتى تنسى أنك تعاني من صعوبة في القراءة، فهذا يعني أنها عوالم من الإبداع والدهشة والقدرة على الاستحواذ الذي يولد ألف سؤال وسؤال، ويحلق بك في فضاءات الجمال .

من الغوطة إلى فضاء الغرب من دمشق إلى حيث صناعة العطور.

سلمى جميل حداد في رحلة الإبداع بين الشعر والرواية، تنجز روايتها الجديدة التي بكل ثقة أقول إنها رواية زوربا العطر.. رواية الملحمة التي تحتفي بالإنسانية عطراً وتفاعلاً وقدرة على الغوص في أغوار البشرية.

رواية جوريا داماسكينا لا تختزل بقراءة عابرة وكما شهقة الجمال يجب أن تكون مكتملة يجب أن تقرأ الرواية، ولكن إليكم بعضاً من عطرها..

(هكذا يعود الماضي من غياباته الوهمية فارعاً بالألم والغموض، غريب الملامح ودوائره مغلقة رمادية، إنه المنديل المطوي الذي تركنا فيه أجفاننا الباكيات فأزهرت عليه تجاعيدنا، مائدة الطعام متعبة من فقر شهيتنا، السرير متعب من وحدة أنفاسنا، الأحلام متعبة من يباس محاصيلنا، النافذة متعبة من إطالة التحديق في فراغها، الكرسي متعب من تهالك أجسادنا، التلفزيون متعب من ساعات شرودنا، والهاتف متعب من الصمت، لا انتظار.. لا ترقب.. لا مواعيد. سيّان، كل الفصول سيّان.. تجيء وتغادر سيّان، ولا تجيء سيّان، لا أفهمك يا بريجيت، لا أفهم سذاجتك على الإطلاق لكنني أتعاطف مع كل كلمة لم تتلفظي بها، وكل شهقة سترت عليها في مقبرة صدرك، وكل زهرة لوز ماتت على ربيع ملاءتك البيضاء ولم تستخرجي لها شهادة وفاة رسمية.

كم أصبحت وحدي! شئت هذا أم أبيت، لقد نجح المتوسط في شطري إلى نصفين لا أدري إلى أيهما أرتاح أكثر، فهل أنا اليوم خلاصة جوريا الدمشقية الطفلة التي ذابت عجلات دراجتها الأربع فوق حواكير مزرعة الجوري ريثما استطاعت أن تعتلي دراجة بعجلتين، أم روزا داماسكينا الأنثى التي صقلت عطورها حدائقُ غراس الجميلة؟ أم أنني مزيج متحد منفصل من عطرين أربكهما المتوسط وأربكاه؟.

قامات أدبية

نهاية التاريخ أم بدايته؟

صباح الأبجدية

سرقات حضارية

الثقافة في أسبوع

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

إصدار

تعبر المجموعة الشعرية «سأحدثك عن الرياح» للشاعرة أريكا هيلتون ترجمة أسامة أسبر عن قضايا عاطفية وإنسانية.

وتنحدر هيلتون من أصول سورية، وحلقت من خلال مجموعتها في رحاب الفضاء والطبيعة لتكون تشكيلاتها الشعرية بأسلوب مبتكر، وسهل ممتنع قريب معناه من المتلقي، وصعب تقليده.

وفي قصيدتها اللحظة الأخاذة عبرت هيلتون عن عواطفها بأسلوب فكري جمعت فيه بين الواقع والخيال فقالت:

أنا مكتبة تزخر بالأفكار.. لكن أنت.. من كان يكتب بالضوء.

على حين جاءت قصيدتها «سمعت شجرة البلوط» ملونة ومشكلة بجماليات الاستعارات التي ساهمت من خلالها بتشكيل صورٍ جديدة تعبر عن التفاؤل والنتائج الإيجابية للمساهمة من أجل الوصول دائماً إلى النور فقالت:

سمعت ارتطاما.. كصوت يدين تدفعان التراب جانباً كي تشق طريقاً للضوء.

أما قصيدتها «آن أوان الشفاء» فتدعو في عباراتها الشعرية إلى النشاط والكفاح من أجل عيش كريم والتعامل بمحبة وإيثار ووفاء، بعاطفة ورؤى صادقة فقالت:

تسألون: كيف يمكن أن نعيش معاً؟
كيف لنا أن نتحرر من أنانا.. من حزننا واستيائنا ومن غضبنا؟
ها أنا ذا جئت لأخبركم.

وتجمع الشاعرة هيلتون ما اطلعت عليه خلال تعرفها على المثقفين والفنانين والبيئات المختلفة والتجارب لتطرح رؤيتها في الحياة قائلة:

أنت يا من تشهر البندقية في يدك.. عانق جارك.. الجار الذي يخافك.
وأنت يا من تشهر سلاح فكرك.. عانق جارك.. الجار الذي تروعه كلماتك.

وفي قصيدتها «أنت تملأ الأنهار» ابتكرت التشبيهات الجمالية التي تصر على القارئ أن يقف عندها لما فيها من جماليات مقنعة وتعبير صادق فتقول:

تفيض بك الأنهار ويستلقي الزمن على العشب ليريح ساقيه.. على قطرات وردة من صمت.. هادئا وناعما وأحيانا حزينا.

وفي جميع نصوص المجموعة التي أصدرتها دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع تحافظ الشاعرة على المستوى الفني والإبداعي وعلى صدق العاطفة وجماليات الصور والبراعة في تكوينها الفني والجمالي، معبرة من خلالها عن كثير من الرؤى وخلاصات التعامل الوجداني.

يذكر أن الشاعرة أريكا هيلتون من أصول سورية هاجرت إلى تركيا ثم إلى الولايات المتحدة واستقرت فيها، وفي شعرها ثقافات مختلفة فهي متأثرة بمحي الدين بن عربي وجلال الدين الرومي وهي فنانة تشكيلية بارزة، وينعكس هذا على شعرها، وشغلت العديد من الإدارات الثقافية منها غاليري هيلتون حيث تعرض الآن من خلاله لفنانين عالميين، وشاركت بمعارض في كثير من بلدان العالم، وشغلت منصب رئيسة مركز الشعر في شيكاغو قبل ذلك.

مسرح

قدمت مديرية المسارح والموسيقا - مسرح الطفل مسرحية (الغابة) بمشاركة ١٦طفلاً وطفلة من تأليف وإخراج ليس محمد، وذلك على خشبة مسرح الحمراء في دمشق.

وتضمنت المسرحية حكاية غابة يعم فيها الأمن والسلام بوجود دب وذئب يقومان بحمايتها، ومن ثم يموت الذئب نتيجة هجوم أحد الغرباء عليه، ويصبح أمام النمر الصغير مهمة تولي الأمور، فيعمل صديقه الثعلب على إلهائه والقيام بأعمال الشغب في الغابة، وتلويث المياه التي تؤدي لمرض الحيوانات فيأخذ الدب قراراً بنفي الثعلب وطرده.

وفي الختام يدرك النمر أن ليس كل الأصدقاء هم حقيقيون، وأن الأكبر سناً هم الأكثر حكمة.

وفي تصريح بينت المخرجة ليس محمد أن مسرحية اليوم هي العرض الثالث لها، والتي جاءت استكمالاً لمشروعها الذي بدأته منذ سنتين.

وأشارت إلى أنها حاولت توجيه الأطفال نحو الطبيعة والحيوانات والابتعاد عن «السوشال ميديا» بالاعتماد على ميول كل طفل للحيوان الذي يحبه.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

آمنة بدر الدين الحلبي
إبراهيم استنبولي
بادر سيف
حسين صقر
رولا محمد السيد
علي حبيب
عبد الحميد غانم
علم عبد اللطيف
سناء شامي
قحطان البير قدار
كمال الحصان
منى حبابة
محسن فندي
ليلى مصطفى

نهاية التاريخ أم عودته.. أين نحن؟

كمال الحصان

منذ سنوات قليلة طلع على العالم المفكر السياسي الأمريكي، وهو كما يبدو من اسمه من أصل شرق آسيوي «فرنسيس فوكو» بكتابه الذي يحمل عنوان «نهايه التاريخ وخاتم الشر»، والذي احتوى على ما سمي بنظريه فوكوياما ورؤيته لتطور أنظمة الحكم السياسية في العالم على اعتبار أن التاريخ تجربة بشرية تتطور بشكل مستمر ومتماسك.

وقد تلخصت نظريته هذه في ان تطور أنظمة الحكم السياسيه في العالم قد وصل الى نهايته بوصول النظام الغربي الديمقراطي الليبرالي الى ما وصل إليه الآن، معتبراً أن الديمقراطية بمفهومها الإمبريالي هي المخلص الوحيد للبشريه من الحروب والاستبداد وطغيان ثقافه الفكر الواحد كالشيوعية على سبيل المثال.

الكتاب صدر بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ومعتبراً ذلك ان سيادة الديمقراطية هي الحقيقة النهائية في العالم، وإن قيامها يعني نهاية التاريخ. والمقصود بنهاية التاريخ هنا من وجهه نظر المؤلف ونهاية التطور التاريخي لأنظمة الحكم السياسية في العالم، وليس نهاية الحياة على الأرض.

ونذكر بأن فوكوياما هذا قد تراجع عن بعض هذه الافكار بعد فتره قصيرة، ولكن هذا لا يمنع من ان ما جاء في كتابه، إنما يعبر تماما وبوضوح عن النظرة العدائية الاستعلائية، التي ينظر بها الغرب إلينا ولكل شعوب الأرض المستضعفة بشكل عام، والتي قد تكون مازالت مستمرة منذ حروب الفرنجة، التي سميت خطأ بالصليبية.

وحتى منذ ما قبلها وحتى الآن، ومستمره كما يكون بحكم عوامل وأسباب عديدة سياسية واقتصادية وتاريخية ودينية أيضاً، كما طلع علينا في سنوات لاحقة أيضاً، كتاب يوشكا فيشر الوزير الألماني السابق بكتابه المعنون:«عودة تاريخ العالم بعد الحادي والعشرين من أيلول وتجديد الغرب» حيث يتحدث الكتاب عن تاريخ الفترة التي انتهى القرن العشرين حوالي عام ١٩٨٩ بسقوط جدار برلين وحتى بداية القرن ٢١ بإحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ مركزاً على العوامل والمبادئ التي تصلح لقياده العالم وصولاً إلى نظام عالمي جديد يتسم بالسلام والعدالة واحترام القانون الدولي، طبعا نشأة نظام دولي لأمريكا والغرب وعن ماهية العوامل التي تعوق ذلك كما يتضمن الكتاب عرضاً للصراع العربي الصهيوني من وجهة نظر ألمانية اتسمت بضيق الأفق وسطحية الرؤية وعدم الحيادية والتأثر بالعديد من الأساطير والمثيولوجيا الصهيونية والمواقف الأمريكية.

أشار المؤلف في كتابه هذا إلى أن الإنسانية مرت خلال القرن الأخير، وبداية القرن الحالي بأعمال قتل وحروب إبادة وظلم ومجازر لم يسبق أن مرت بها في أي قرن آخر عبر تاريخها الطويل. وخلص إلى استنتاجات استعمارية وعنصرية وغير إنسانية.

ويركز فيشر على خطر تلاقي واندماج ما يسميه التوجه العروبي مع التوجه الاسلامي، ويقول: إن هذا التوجه أو الاندماج سوف يؤدي في النهاية إلى ظهور موجات من التطرف في العالم العربي والإسلامي وإلى انهيار الأنظمة المعتزلة والمعتمدة في المنطقة، ولا ينسى أن يرى أن الأنظمة القومية، وهو هنا يقصد الأنظمة القومية العربية بأنها - على حد تعبيره - فاشية أو معتزلة، وهي برأيه أيضاً ستشكل خطراً على الأنظمة العالمية كلها.

ما يهمنا ما جاء في هذين الكتابين بشكل خاص هو ما يتعلق بالنظرة إلى منطقتنا وأمتنا ازاء قضاياها ومستقبلها ووجودها، وهي نظرة بالغة العداء والعنصرية، بينما نحن لم نقم حتى الآن بالرغم من تمادي أميركا والغرب في فلسفه أفكارهم المعادية لنا والتنظير المركز لاستهدافنا وتشريع سلبنا لمصيرنا وحريتنا، والشروع في التنفيذ بإصرار وتصميم أقول بالرغم من كل ذلك فإننا لا نرى أنه لا نزال حتى الآن بأن نلعب دور الحمل الوديع الباحث عن الرحمة من الأعداء وفي أحسن الأحوال انتظار القدر المحتوم، وكأن إرادة العدو قدر.

ليست هناك نظرة أو نظرية عربية موحدة حتى الآن إزاء ما يجري، وما يحدث ضدنا، وحتى مقابل أدلجة العداء ضد العرب.

ماذا أعددنا لذلك، وماذا حضرنا حتى ننجو من المجزرة التاريخية التي تنتظرنا حتى الآن؟.

لا شيء هل ما يجري هو استئناف معاصر لحروب الفرنجة ضدنا؟.

قد يكون من الصعب على أنظمة مختلفة ومتخلفة كدول مثل دولنا النامية فاقدة للقرار الموحد في مواجهة هذه التحديات.. بأن تقوم بهذه المهمة، وهنا مشكلة العرب.

العرب ليسوا أمة عنصرية ولا منغلقة ولا معزولة، ولو عد الأخرون مساهماتنا في الحضارة الإنسانية فلن يحصوها، بينما أميركا مثلاً هي شعب بلا تاريخ.. قامت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٧٦ بعد حروب أهلية وصراعات مريرة ومعارك إبادة واستعمار نسي مفكروها القادمون من شتى أصقاع الأرض.

إن العرب لم يسجلوا في تاريخهم الممتد آلاف السنين أي هجمة أو عدوان أو مجزرة ضد أي شعب من الشعوب الأخرى حتى في صدهم لعدوان الآخرين عليهم كانوا مثالاً في الرحمة والإنسانية والأخلاق.

كما تجاهل أو عمي هؤلاء المفكرون عن رؤية مئات النظريات والابتكارات والاختراعات والإنجازات العلمية والفلسفية والفكرية التي قدمها العرب عبر التاريخ للإنسانية.

إن فكر العرب ورسالتهم هو إنساني الدافع والهدف والوسيلة.

إن عروبتنا ليست سلاحاً كما يقول الأخرون بل إنه لا يوجد شعب في العالم يؤمن بوحدته وقوميته كما يؤمن الشعب العربي من المحيط إلى الخليج بدليل أن هناك جواباً واحداً على لسان كل عربي عندما تسأله عن الحل لكل مشاكل عرب وقضاياهم هو الوحدة العربية.

في كل الأحوال ليستذكر العالم أن التاريخ تكتبه الشعوب وأن المستقبل ترسمه إرادة الشعوب، وأن القوة والغطرسة لم تكن في يوم من الأيام سوى تعبير عن النزوات الإجرامية والشيطانية العابرة لا تترك في طريق الإنسان أي أثر.

وتبقى الشعوب سائرة في طريقها نحو مستقبلها ونحو خير الإنسانية.

إن محاولة فرض نموذج واحد على النظام العالمي من قبل نظام سياسي أميركي غربي ومحاولة فرض نوع من القمع والإرهاب وإسكات العقول وإحكام سيطرة القطب الواحد بل انه شكل من أشكال الاستعمار الجديد والطغيان الذي يمارسه هذا القطب، لكن التاريخ شهد دائماً نهاية لكل ظلم واخره لكل طغيان والتاريخ لا يخذل بناته.

بقعة حبر

ما لا تقوله الكلمات

رنا بدري سلوم

يقول ما لا تقوله الصحف وتبوح به الكلمات، نظرة معمّقة منك تكفي أن تفهم رسالته ومضامينها ورؤاها المختلفة وربما الشّجاعة، لأنه يثير قضيّة بطرح فنّي عال المستوى، فن الكاريكاتور منفتح على احتمالات الحياة برموز تعبيريّة ودلالية، يقول كونفوشيوس: «لا يمكن للمرء أن يحصل على المعرفة إلا بعد أن يتعلّم كيف يفكر»، وهنا يكمن الإبداع الحقيقي في كيفيّة خلق لوحة رمزيّة مشحونة بالعواطف والأحاسيس، فنان الكاريكاتور رائد خليل الذي أبدع فيه يطلق دراسته عنه بعنوان: «القيمة الجمالية والفعل الفني- الكاريكاتور أنموذجاً» إصدار الهيئة العامة السوريّة للكتاب، هذا الفن الذي يفك شيفرا الرمز مرة والفن مرة أخرى وفي كلا الحالين هو خلاصة معرفة رمزيّة، « فإن غاب الرمز، غاب الفن»، فن الكاريكاتور هو فن على قدر ما هو بسيط فإنه معقد يعمل على إسقاطات وتأويلات واستنتاجات قد تكون منطقيّة وقد لا تكون، وهنا تكمن لذّة هذا الفن« الفن هو استفزاز المخيّلة لقول الجميل بحثاً عن معادلة الإدراك الحقيقي والحكم على مفاصل العمل ضمن مجالات واسعة الطيف، ومع هذه الإحداثيات الفنية المتوالدة برزت نظرة فلسفية غيرت مفهوم الكلاسيك لتقف عند عتبات القراءة الحديثة للواقع، وهذا يعد نقلة مهمة في التخلص من رواسب القديم الثابت في بنيانه التشكيلي للانطلاق نحو عوالم الذات المنغمسة في قواميس التجديد والنزعة الرومانسية»، فن الكاريكاتور يلامس الواقع بمثاليّة مطلقة بل وحساسية مفرطة، ويجب علينا أن نعزز هذا الفن لأنه يشبه ذواتنا بملامح أرواحنا البسيطة المتعبة لا أشكالنا المنمّقة وعقولنا المتعجرفة.

أسرج خيلكَ للمنتهى

آمنة بدر الدين الحلبي - جدة

بدأ الليلُ ينسلُ رويداً رويداً، وكأنني على موعدٍ مع ليلةٍ قمرية اكتملَ بدرها، واستدارَ رغيفها، وسطعَ جمالها، صوتُ الجنادب كانت أشبه بنغمات موسيقية تعزفها عندما تنشر جناحيها وتفتح فاها، فتصطدم نسمات الهواء بهما وتطلق أغنية نهاوند من الطنين والرنين، تحلق في فضاءات رحبة لا متناهية من القصر.

وأحياناً أخرى تكون السمفونية أكثر حناناً عندما تشعر الجنادب بالبرد ولم تجد من يدفئها بقبلة حانية فتفرك جناحيها إيذاناً لحرارة تهدئ من روعها.

سرحت مع عطر اليوفوريا الساحر والذي يُعتبر مزيجاً من زهور اللوتس والسوسن ونغمات عطرية من الأعشاب الخضراء المورقة، تسلل رذاذه إلى أنفي بعد أن غطى حديقة القصر الجميل بعبقه، وكأنني على موعد مع حورية من حوريات الليل الساحرة بعبق عطرها، وجمال سحرها المكنون في عينيها.

ومع توسط قمر الليل سماء القصر، اقترب عطر اليوفوريا مني أكثر وطغى على كل رائحة من روائح الزهور المتألقة في الحديقة.

حواسي كانت ترصد الأشياء بدقة لا متناهية، وقبّلت وجهي نسمة خفيفة من نسمات الليل لاعبت معها أوراق شجر النيم، فانتبهت بصيرتي واتّقدت لحركة ليست كالحركات... تسمرت في مكاني، لأن صوت الجنادب اختلط بصوت أنفاس آدمية تعزف سمفونية الحب والحياة.

اقتربتُ أكثر، دُهشتُ لحورية هبطت من السماء، تتألقُ تحت نور القمر، مغسولة بعبق اليوفوريا الذي أخذني إلى عالم أكثر أنوثة، عالم يتمنطق بجمال أخاذ يحكي حكايات الأميرات على بلاط السلاطين، عبق المكان والزمان بعطرها الأنثوي الممزوج من جميع أنواع الزهور، والذي زادها جمالاً ساحراً، لؤلؤ عينيها مستوطنٌ في البؤبؤ، كنت أمام لوحة تشكيلية رائعة من لون عينيها وسحرهما، منعتني روحي من التواصل معها، كانت في حالة صوفية مريدة خالصة لله عز وجل، حالة نادرة من التوحد مع الله، والاتحاد في عشق إلهي، يتجلى تحت نور القمر.

ذكرتني بحالة الحلاج في العشق الإلهي عندما قال:

عجبتُ منك و منّي
يا مُنْيَةَ المُتَمَنِّي
أدنيتَني منك حتّى
ظننتُ أنّك أنّي
وغبتُ في الوجد حتّى
أفنيتَني بك عنّي
يا نعمتي في حياتي
و راحتي بعد دفني
ما لي بغيرك أُنسٌ
من حيث خوفي وأمني

سمعت زفراتٍ لاهوتية في جنح الليل، لكن تلك الحورية أحست بوجودي فكسرت حدة الصمت المقيت وقالت: زائرة الليل تؤنس وحدتي؟؟؟

قلت: ربما تسمعُ صوتَ قلبكِ!!!

قالت: رائعة أنتِ ... حالمة ... هناك من يسمع صوتنا.. لكن لا يستطيع أن يسمع نداء قلوبنا المجروحة التي شقت عنان السماء في مؤامرات تضليلية بدأت في وطني بل نذرت بحربٍ لا تفي ولا تذر، ولم تنته بعد.

قلت: ما الأمر يا حورية الليل؟؟؟

قالت: اسمي المنتهى..... بعد أن سقطت اللآلئ من عينيها وحفرتْ أخاديد الزمن المر.....هذا العالم يدفعني إلى حتفي في المقابر لأنه لا يجيد أبجدية الحب ولا يعرف العزف عليها.

قلت: بالأحوال العادية هناك الكثير لا يجيد لغة الحب.

قالت: أعلم لكن حبيبي متفرد في إنسانيته، ضربات قلبه تسبق صوته، وأنفاس عشقه تصلني عبر الأثير.

قلت: إلى هذا الحد كان يحبك؟؟؟

قالت: أبوح لك بسر!!!

قلت : أجل.

قالت: الحرب سرقته مني، سرقت أجمل أيامي، متى نلتقي؟؟؟

قلت: هل أنتِ تهذين، هو يدافع عن الوطن.

قالت: في ليلة قمرية كهذه قال لي : أنا الليل ..... وأنت المنتهى... بماذا أجبت؟؟

قالت: أسْرِج خيلك للمنتهى!!!

قال: خيولي مسرجة ... بشوقٍ عاشق...

قالت: احمل معك ترياق الحب لتصل بأمان.

قال: هو لكِ... وكان طفلاً مشاكساً في تلك الليلة، شاكسني بمحبة لا حدود لها، حتى كدتُ أنسى منفاي، لكن لم أكن أدري أنها كانت كلماتُ وداعٍ ليذهب إلى الحرب كي يدافع عن تراب وطنه عن أرضه عن عشقه الكبير الذي يستحق أكثر مني.

قلت: هل تعلمين يا حورية الليل، الوطن هو الرقم الصعب في حياة الإنسان فكيف إن كان قائداً في الجيش له مكانته في الدفاع عن أرضه، وعن وطنه، وليس أي وطن، هو يدافع عن مهد الحضارات، عن الإنسانية التي اجتمعت فيه، وشكلت إرثاً حضارياً مهولاً. لأن العدو على المحاور يزأر ويصيب أهلنا بجراح غائرة في عمق الجسد الإنساني وآخرها أقمار مصياف الذين قضوا من أجل الوطن وتركوا ثكالى، وأيتام وراءهم.

قالت: أعلم ذلك الوطن هو العشق الحقيقي هو الملاذ الآمن، هو الأم العظيمة التي تحتضن أبناءها، لكن أين مكاني أنا بين مهامه الوطنية؟

قلت: أنت من ضمن مهامه لكن الوطن يستدعيه وهو يلبي بحب ليكون مع رفاق السلاح جنباً إلى جنب، كي تعيشي معه على أرض طاهرة مقدسة يرفل الورد في ساحاته ويعرش الياسمين على حيطان قصر الحب، وها أنت تعيشين في قصر جميل وتقولين منفى يا حورية الليل؟؟

قالت: بل قولي أصبح سجن كبير بعد غيابه سرقته الحرب مني وهناك مثل شعبي يحضرني (الجنة بلا ناس لا تُداس).

صدقيني يا زائرة الليل كان حين يمر ترتعد مفاصلي عشقاً.... وعندما يغيب أراه في طريق السالكين حاضراً...

قلت: دعواتك ليعود منتصراً سالماً معافى يرعد بالحب ويغسل وجهك بريح أنفاسه الذكية المضمخة بعطر لأرض، بعطر الوطن؟

كان حديثها ضرباً من الصوفية العاشقة، يلامس شرايين قلبي، يقدم لها الحب على طبق من ذهب، ويقول لها فيما بعد جملته الشهيرة ابتعدي أخاف عليك الاحتراق، فأنا مرصود للدفاع عن الأرض حب الأرض أولاً وأولاً.....كانت ترددها بين الفينة والأخرى.

هو رجل والرجال قليل، جلّ اهتمامه الوطن لكن يعيش لحظة الحب وقلبه معلّق بعشق أكبر بعشق وطن ساحر، بعشقٍ لا مثيل له، بعشق طاهر طُهْر القديسين والأنبياء والأولياء الصالحين، يفوح من جنباته الورد الدمشقي والياسمين الشامي، عشقٌ تغنى به الأدباء والشعراء، يخلع نعليه حين يطأ أرضه المقدسة، ويسجد شكراً لله على ثراه الطاهر.

قطعت تمتماتي ...

قالت: كان لقاؤنا عفوياً من دون ترتيب ومن دون سابق إنذار، وكان يقول ضاحكاً . القلوب شواهد . أحب لقاءك مجدولاً بالمحبة والحب من قلبك الكبير، لكن اعذريني إن تأخرت يوماً عليك لأن مهامي الوطنية أكبر منك، وأنا طوع أمرها، لأن أرض الوطن المستقلة هي التي تجمعنا للحب للحياة، وبدونها لا حب يرقى لنمارس عشقنا.

الحرب قاسية وعليّ أن أقوم بواجبي الوطني يا حبيبتي، ولن أطلب غير دعائك الجليل لنجتمع معاً على أرض الوطن الحر الجميل نشتمُ عبق الياسمين ونقطفَ العنب والتين ورمان اللقبة، ونشتم رائحة الطيّون.... ونسير بين القلاع الجميلة، بأمان ويسر، وأنهى حديثه بغزل جميل.

لـ عينيكِ سحر الله .....وحده يعلم سرهما وسحرهما.

كان لصوتها الذي يسري في شراييني تحت سكون الليل مظاهرة احتجاج، ولذبذباته لغة متناهية بالعشق، شعرت في تلك الليلة المقمرة عندما التقيا اختلسا القبل من قمريهما، وصوت الجنادب راقصتهما، فسطّرا أحلامهما بعد أن اتحدا بألوهية عشق لا متناهية.

وقطعت حبل تأملي لعينيها الساحرتين مع فجر الصباح، بين شفتيها حديث الجوى فقلت لها امتد لسان الصباح يا حورية الليل ووقفت شهرزاد عن الكلام المباح.

بين الإبداع والاقتباس والإعداد

حسين صقر

هناك مقولة عن الكتابة تقول» إنها كالسحر تبهر وتجذب وتبعد وتقتل»، ولعل الكاتب الناجح يترك أثراً قوياً في نفوس متابعيه وقرائه، ولكن ليس كل من مسك بالقلم كتب، ولا كل من فتح كتاباً وقرأ فهم، إذ أن هناك رسائل يريد الكاتب إيصالها تقبع بين السطور، وربما لا تتضح من أول صفحات المخطوط.

وتختلف الكتابة باختلاف البيئة والزمان والمكان والظروف والحالة الاجتماعية والوضع السياسي والثقافي للجمهور، وهناك من يكتب من عقله ويسمى مبدعاً، وآخر يقتبس ويشرح ويضيف ويتصرف ويسهب في الشرح والتوضيح، وهو بالتأكيد لايصل إلى درجة ومكانة الكاتب المبدع، وهناك المعد الذي يأخذ النص مع تغيير بعض الكلمات والجمل، وهذا الأخير لايرقى إلى تسمية الكاتب، بل يبقى في خانة المعدين! ولهذا فالكاتب الإبداعي يكون من أميز الكتاب فناً، لأنه يعيش مع نفسه بتحديات طوال وقت كتابته لأنه سوف يخرج بقطعة نموذجية إبداعية كل مرة أفضل من سابقتها، وبالتالي فالإبداع بالكتابة لا يأتي من فراغ بل من أفق واسع يسرح فيه خيال الكاتب بعيداً حتى عن الواقع الحقيقي والافتراضي.

وتكون الكتابة ملأى بالأفكار والمشاعر، وتحمل صفات يصعب إيجادها في كتابات أخرى، لأنها تجذب القارئ وتتمسك به، بحيث لا تفلت القارئ عن قراءتها إلا إذا انتهت السطور، وختم الكاتب مقالته أو قصته أو روايته أو أي نوع إبداعي آخر.

ما سبق لا يعني أن الاقتباس نوع غير مهم في الكتابة، لأنه إحدى الدعائم المهمة في البحث العلمي على وجه الخصوص، وتختلف طريقة المقتبِس من شخص لآخر، وذلك حسب طريقة التفكير والعلم المبحوث أو المكتوب عنه، سواء كان إنسانياً أو تطبيقياً، حيث هناك من هؤلاء من يستلهمون من غيرهم طرف الخيط، من أجل تحقيق الاستمرارية العلمية، والاستعانة بقواعد متينة، ومن ثم بناء الجديد والمغاير، ومنهم من يجعل المقتَبس عكازاً يستند إليه في خطواته، دون أن يسير على خطا من سبقه.

وعلى سبيل المثال فإن مكتشف الليزر هو العالم الفيزيائي الشهير تيودور مايمان، وبعد ذلك استمر العلماء في دراسة ما بدأه ذلك العالم، واستطاعوا أن ينظموا كثيراً من الدراسات والأبحاث العلمية، التي ساهمت في متابعة الاكتشافات، واستخدام الليزر في المجالات الطبية والهندسية والصناعية.

لهذا يمكن أن نقول: إن المُقتبسين في حدود مُعينة بمثابة مُجددين ومحدثين، وليسوا ناسخين، أو منتحلين.

أما فيما يخص الإعداد فهو كما ذكرنا النسخ واللصق مع بعض التعديل والتغيير، في وقت يحافظ فيه المُعد على روح النص، وفي موقع آخر يأتي بمعنى التهيئة والتحضير، كإعداد البرامج الثقافية والسياسية، ولايمكن اختصار هذا النوع من العمل ببعض سطور لأنه مهم بما يكفي، لكن الحديث عن الإبداع الذي سنعود إليه قليلاً يستحوذ على الفكرة المطروحة، حيث لدى المبدع محتوى يريد تقديمه، و يلقى فيه القارئ إجابته وكاتبه يحاول أن يترك بصمة في ذهن هذا القارئ بحيث كي لاينسى القصة، حيث يتحكم هذا الكاتب أو المبدع بمشاعر القرّاء، فيثير الجدل، ويدخل في صراعات وأفكار كانت بعيدة عن ذهنه، وهنا تظهر قوته، لأنه سوف يترتب على ذلك أشياء ونتائج وخاتمة القصة.

وتر الكلام

أي مذاق ساحر؟

سعاد زاهر

تبتلعه بسهولة
دون أن تشعر أن طعمه حارق.
كأنه قطعة حلوى كبيرة
هل كانت تقلده فيما يفعل؟
حين تنظر إلى النجوم ليلاً
بينما يستمع إلى أغنياته الفرنسية
لم تعد تعرف من الذي يفعل...؟
وحين انصرفت عن السكر
مثله تماماً
لم تعد إليه
إلا في أوقات الضجر
أي مذاق ساحر يمتلكه العاشق
حين استيقظت بعد غفوة قصيرة
هالها كيف تغيرت؟!
الآن....
حين يأكل طعام هندي حار
تهرب من الدار كلها
وحين ترى تلك الشتلات المزروعة
بحرفية مبتدئ
تود لو أنها غادرت إلى الأبد
ففي كل مرة فعلت
كانت تعود محملة بخيبة أكبر
كأنها عالقة بأشواك هذا المكان
كيف يتمكن من إقناعها
في كل مرة بالعودة
والبدء من جديد
أي انزلاقات عاطفية
تدفعنا للتهور
معتقدين في عز خيبتنا
أننا في بهجة أبدية
تبدو معها لذعات البهارات
مجرد دغدغات محببة
قرب حبيب لا يمكن له
أن يغيب

باباجان غفوروف - مؤسس الدراسات الشرقية السوفييتية

إبراهيم إستنبولي

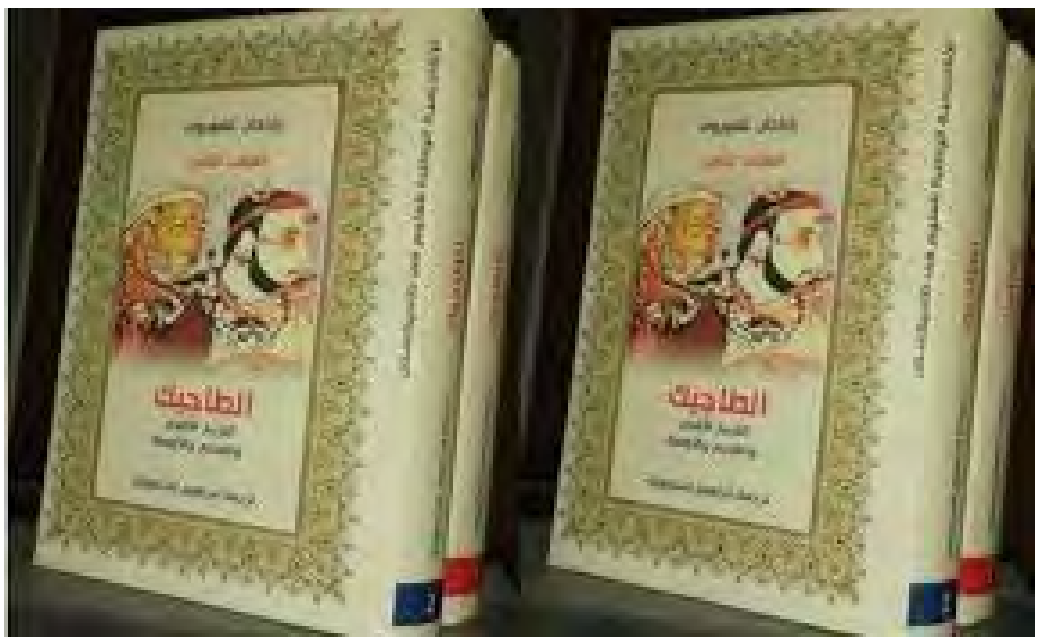

عقد في ٥ كانون الأول بدعوة وتحت رعاية رئيس جمهورية طاجيكستان إمام علي رحمان شخصيا المؤتمر الدولي المكرّس للذكرى ال١١٥ لميلاد المستشرق ورجل الدولة باباجان غفوروف وذلك وسط حضور شعبي كبير وبمشاركة ممثلين عن البعثات الدبلوماسية في دوشانبي وباحثين من فرنسا وإيران والصين وباكستان وسوريا (إبراهيم إستنبولي).

لن نبالغ إذا قلنا أنّ باباجان غفوروف هو أعظم مستشرق نجح في نقل علم الاستشراق السوفييتي إلى مستوى جديد وأدخل فهماً جديداً في العالم لتاريخ طاجيكستان ولنشوء الشعب الطاجيكي.

وقد أصبح اسم باباجان غفوروف رمزاً لحقبة كاملة، وبات اسمه مقترناً بالتاريخ المعاصر للشعب الطاجيكي، وكل من يعرف الحدّ الأدنى عن طاجيكستان وعن تاريخه يعرف اسمه، إنه ممثل جدير للشعب الطاجيكي، ويحق لكل مواطن طاجيكي أن يفتخر بوجود مثل هذا العالِم ورجل الدولة في وطنه.

أكثر ما برزت الصفات القيادية كسياسي وكباحث عند غفوروف عندما استلم إدارة معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية، وهو أكبر مركز في الاتحاد السوفييتي يدرس بلدان وشعوب آسيا وشمال أفريقيا، لقد كانت مساهمة العالِم ورجل الدولة غفوروف في تطوير المعهد جوهرية لا تقدر بثمن.

كان مركز الدراسات الشرقية فرعا ناشئاً وجديداً في الاتحاد السوفياتي، مع عدد محدود من العاملين والباحثين، ومع خبرة متواضعة جداً إذا ما تمت مقارنتها مع خبرة الاستشراق الغربي، نعم، لقد كان المركز العلمي ضعيفاً للغاية بحلول منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وهذا ما أشار إليه الأكاديمي ريباكوف: كان الناس يقولون «لقد استيقظ الشرق، وحده معهد الدراسات الشرقية لم يستيقظ من سباته بعد».

كما أنّ غفوروف نفسه الذي أصبح فيما بعد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في طاجيكستان، أشار أكثر من مرة إلى المستوى المنخفض للمعرفة باللغات ولتاريخ بلدان الشرق بين المتخصصين.

من هنا كانت الحاجة ماسة من أجل إعادة بناء الدراسات الشرقية السوفييتية ورفدها بالمزيد من الكوادر وتأمين ما يلزم من احتياجات مادية، لذلك، راح غفوروف يعمل بحماس كبير وبوتيرة غير مسبوقة.

لم يكن قد مضى سوى عام واحد على تعيينه في رئاسة المعهد، حتى دعا إلى انعقاد المؤتمر الأول للمستشرقين في عموم الاتحاد السوفياتي وذلك في طشقند، ذلك المؤتمر الذي كان نقطة البداية لتبادل الخبرات والإنجازات بين المراكز العلمية في الاتحاد السوفياتي.

كما أولى العالِم اهتمامه الخاص لمسألة الكادر في المركز، فارتفع عدد الموظفين في المعهد خلال السنة الأولى من عهد غفوروف من ١٨٥ إلى ٣٣٨ شخصاً.

وبالتوازي مع ذلك، عمل كل ما أمكنه من أجل زيادة الدعم المالي للمعهد من قبل الدولة أيضاً، وهذا ما سمح للعلماء بالذهاب في رحلات عمل وبعثات استكشافية بشكل منتظم.

ثم كان تأسيس دار نشر متخصصة بالأدب الشرقي عام ١٩٥٧ من أهم الإشارات التي تؤكد النظرة العميقة والبعيدة عند العالِم ورجل الدولة غفوروف، حيث قامت الدار بنشر مخطوطات العلماء الروس والترجمات والأصول للمصادر التاريخية والأدبية. وما زالت دار نشر غفوروف تعمل حتى الآن في نشر الكتب والدراسات في مختلف مجالات الفكر والأبحاث الآسيوية والأفريقية.

لم يقتصر إنجاز غفوروف على تعزيز القاعدة العلمية لمعهد الاستشراق فحسب بل جعل من المعهد نقطة استقطاب سياسي وفكري في الاتحاد السوفييتي، بحيث أنّ كبار المسؤولين والوفود من الدول الآسيوية والأفريقية التي كانت تأتي لزيارة الاتحاد السوفييتي، كانت تقوم بزيارة المعهد حيث يعقدون جلسات حوار واتفاقيات تعاون.

لقد أثبت نفسه كمسؤول فطن وصارم، يعرف كيف ينزع فتيل الصراعات، «منظم نشيط وقادر» (حسب شهادة البرفسور إيغور ميخائيلوفيتش دياكونوف)؛ «حكيم شرقي» (حسب تيودر)، وفي الوقت نفسه، كان قياديًا صارمًا من الرعيل الستاليني في الإدارة. يرى الأكاديمي ألباتوف V. M. Alpatov أن إدارة غفوروف هي أفضل فترة في تاريخ معهد الاستشراق، وفي عهد غفوروف، ظهر في المعهد عدد من الموظفين الشباب، بما في ذلك أولئك الذي كانوا مضطهدين ومسرحين من الوظيفة، وتم إنشاء هيكل لغوي خاص لأول مرة – قسم اللغات، وبدأت رحلات المستشرقين السوفييت إلى البلدان قيد الدراسة، ودار نشر.

لقد دحض غفوروف في كتابه المرجعي «الطاجيك» النظرية القائلة بأن الطاجيك شعب «غريب، غير أصيل»، وأثبت علمياً أن تكوين الطاجيك كشعب حدث في العصور القديمة وفي أراضي آسيا الوسطى تحديداً.

وقد دعّم هذا الرأي التاريخي بمصادر مكتوبة تم العثور عليها في ذلك الوقت، إضافة إلى البيانات المأخوذة من علم الآثار واللغويات والأنثروبولوجيا ومن العلم المختص بسكّ العملات وغيرها من العلوم.

يعد كتاب «الطاجيك» طفرة في الدراسات الشرقية، وكذلك في الوعي الذاتي التاريخي للطاجيك أنفسهم، الذين رحبوا بالكتاب بحرارة.

وهذا ما أشار إليه العالِم الطاجيكي الشهير محمد جان شاكوري: «لقد اكتسب عمل الأكاديمي باباجان غفوروف «الطاجيك»، الذي نُشر عام ١٩٧٢، شهرة واسعة وبسرعة.

قام باباجان غفوروف، الذي جمع بين الأنشطة السياسية والأنشطة العلمية، بإيلاء اهتمام أساسي لتطوير العلوم والثقافة والهوية الوطنية. وبمبادرة منه تم افتتاح أول جامعة في طاجيكستان في عام ١٩٤٨، كان افتتاح جامعة طاجيكستان الحكومية (الآن TNU) حدثاً عظيماً في الحياة العلمية للجمهورية.

كما كان راعياً للمواهب، وقد ساهم دعمه الشخصي في تحقيق نجاح كبير على الساحة العلمية والثقافية للعديد من العلماء والشعراء والكتاب الموهوبين.

عندما كان باباجان غفوروف السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في طاجيكستان، تم إنجاز العمل الذي كان سيستغرق أكثر من عقد من الزمن، تم استعادة المؤسسات الصناعية التي كانت معطلة أثناء الحرب لأسباب مختلفة.

أختم بما قاله رئيس طاجيكستان إمام علي رحمان عن الأكاديمي باباجان غفوروف:

«لقد كان حقاً رجل دولة ذا نظرة أكاديمية وأكاديمياً ذا تفكير حكومي، علاوة على ذلك، كانت حياته كلها مثالاً للخدمة المخلصة والمتفانية لمصلحة العلم والشعب والوطن».

بتوجيه من رئيس جمهورية طاجيكستان إمام علي رحمان تمّ توزيع مليون وستمائة ألف نسخة من «الطاجيك» مجاناً على كلّ عائلة في طاجيكستان.

قامات في ذكريات كاتب

رولا محمد السيد

يعدّ الأديب والكاتب أيمن أحمد شعبان، من الباحثين الغني بمسيرته في التأليف والكتابة متعددة المجالات، فله رصيد كبير من الكتب السياسية والدراسات الفكرية والأدبية عبر مسيرته الغنية، وكتابه (قامات.... وقفات.... ذكريات....) إضافة جديدة في مسيرة الكاتب وللمكتبة العربية.

فإننا نتنقّل بين دفتي الكتاب نرى فيه حديقة متنوعة الورود والطيوب، حيث جاءت أغلب هذه المقالات توثيقاً لذكريات عاشها الكاتب مع أغلب هذه القامات، بعضهم أعلام في الفكر والأدب والصحافة أو علماء أو معلمون أو رجال دين أو دولة.

ولعل هذا ما يميز الكتاب، فهو يتحدث عن مبدعين في مختلف المجالات والميادين.. ففي مجال الأدب لاحظنا حواراته الغنية مع الكثير من أصحاب الإبداع الذين تحدثوا عن مسيرتهم الأدبية فيوجز في مقالاته أهم ما قدموا فكراً وأدباً..

قامات .. حملت أدباً وأفكاراً وعلوماً وأقلاماً مبدعة.. بعضهم غادرنا إلى جوار ربه فقيداً غالياً أو شهيداً عظيماً وكل كلمات الرثاء والألم عاجزة عن الوفاء لهم» لما تركوه لنا من إرث ثقافي وحضاري لا يموت، فهم في قلوبنا وعقولنا، وبهم يعتز الوطن ويفخر، وبمنجزاتهم تستمر الحياة.. أو طمعاً وبعضهم الآخر لايزال بيننا يعمل ويبدع في مختلف ميادين الأدب والعلم والفن، لأنه يعدّ العطاء حياة وأمل، ولأنه يؤمن بأن هناك من يريد أن يقرأ ويتنور.

ولذلك هم يستحقون منا الإضاءة على إنجازاتهم وإبداعاتهم، التي لم تتحقق بين ليلة وضحاها، كما لم تأت صدفة أو مغالبة أو اصطناعاً، وإنما هو التميز والعطاء كحصيلة جهود تكرست ومجهودات بذلت، فكان لتلك الأسماء شأوها، محتلة منزلة سامية في عالم الفكر.

إن مجرد الحديث عن هؤلاء الأحياء منهم والأموات والتذكير بهم، هو فعل فيه أصالة ورسالة ذات معنى لمن يضبون إلى دخول هذا العالم السحري الجميل الماتع عالم الأدب والعلم والثقافة.

بيد أن الذي بات مألوفاً وشائعاً عندنا هو أن يُحتفى ببعض المبدعين الراحلين من دون الالتفات إلى مبدعين أحياء يعيشون بين ظهرانينا، مما يفوّت عليهم التنوية بقاماتهم، والتعريف بهم وبسيرهم الذاتية والمعرفية ونشاطاتهم الإبداعية، ومنحهم بعضاً مما يستحقونه من الاهتمام والتقدير، أولاً: لكونهم عناوين للتميز ورموزاً وطنية، وثانياً: لغني ما أبدعوه وما أنجزوه، وثالثاً: للمنفعة التي تتحصل للمجتمع من طاقاتهم وإبداعاتهم.

أما الوقفات التي تضمنها الكتاب، كانت مع تلك القامات الفكرية في تفاعلاتها المتميزة مع الواقع الثقافي أو العلمي أو الفني القائم، وذلك من خلال متابعة الكاتب أو حضوره أو اطلاعه على مختلف الأنشطة التي قاموا ويقومون بها من خلال محاضرات أو مقالات أو كتب أو بحوث مختلفة الأجناس أو ندوات فكرية أو ثقافية أو فنية أو حتى قراءة أفكارهم الإبداعية من خلال حوارات الكاتب معهم، أو لقاءاته الجانبية بهم..

ثم قيام الكاتب بدراسة أو تحليل أو تقييم أو عرض أو إيجاز هذا المنتج الفكري (بأنواعه) ونقله بأمانة وموضوعية وشفافية، وتجرد من كل الإرهاصات المقيتة، إلى وعي القارئ الحصيف ليشعر وكأنه هو من حضر المشهد أو الموقف وعاين حيثياته وخرج بفكرة عامة عنهم وعن أهمية المواضيع أو القضايا أو الأفكار المطروحة من قبل هذه القامات التي كانت تلعب دور البطولة فيها.

ويعتبر الكاتب أن الوقوف على نشاطات هذه القامات الفكرية وإنجازاتها العلمية أو الأدبية أو الفنية يساهم في ضخ الأجيال القائمة بالمعنويات الإيجابية المحفزة على توطيد ثقتها بثقافة أمتها ومثقفيها، فتتوثب

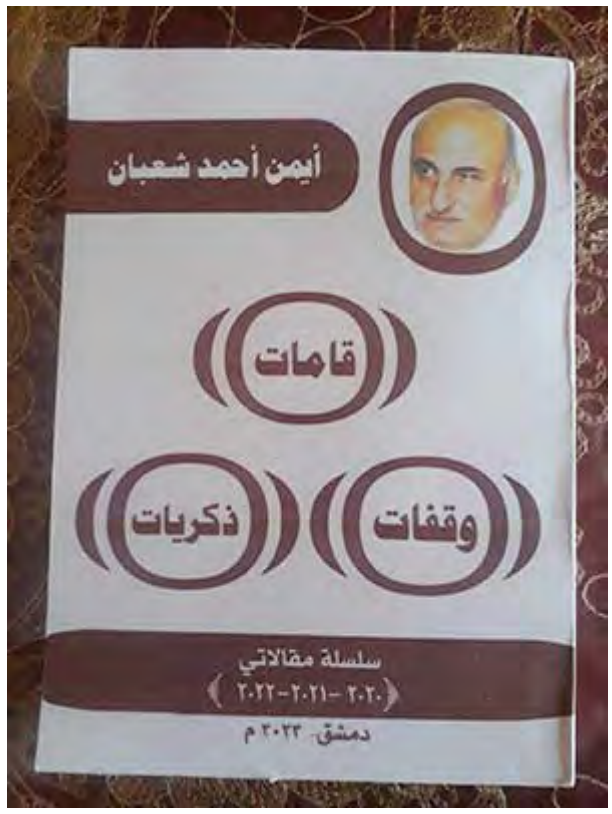

للعودة للكتاب والقراءة، وترفد الحياة بما فيها من الأفكار الجادة والتطلعات الكفيلة بإحياء مجدها الأثيل.

في حين جاءت ذكريات الكاتب، تلك التي عاشها مع أغلب هذه القامات الفكرية.. بعضهم أعلام أو علماء، وبعضهم أصدقاء أو زملاء عمل أو قلم أو رفاق دراسة أو أساتذة أو رجال دين أو دولة .

وكانت له لقاءات ووقفات وأحاديث وتبادل آراء ورؤى وذكريات جميلة، وما أجمل لقاء الأديب بالأديب، وما أجمل اللقاء على كلمة طيبة في كل يوم، وما أجمل أن نلتقي لنحيي ثقافة، ونوقد شمعة، ونجعل من الأدب زاداً طيباً، وشراباً عذباً فراتاً لذة للشاربين، وصدق الشاعر الذي قال:

وإذا الأديب مع الأديب تلاقيا لا شيء أحسن منهما في مجلس
كانا من الآداب في بستان يتناثران جواهراً بلسان

لهذا أكد الكاتب على الاهتمام بالأعلام المبدعين في حياتهم أو بعد مماتهم مما ينم عن الحرص على الوفاء لهم.

ولكن.. أليس من الأجدى أن يلقى - المبدعون الاهتمام والحفاوة في أثناء حيواتهم ويذوقوا لذة تقديرهم وهم أحياء ؟!.. ولماذا نصر على دفن المبدع قبل أن نمنحه ما يستحقه منهما. إنها مسؤولية كبيرة علينا أن نحملها عرفاناً لمن أبدع وناضل من أجل إبداعه، فضحى وسهر وأنتج حتى بنى لنفسه كياناً وصار اسماً متميزاً عن سواه..

وهنا يحضرني قول فولتير لمن وعده بتقريظه في أشهر صحيفة بالعالم بعد مماته: (خير لي أن أقرأ كلمة طيبة عني في صفحة داخلية من أن تخصص لي الصفحة الأولى، وتكون عني بعد موتي.

أخيراً واعتزازاً بهذه القامات وغيرها ممن كتب شعبان عنهم في الجزء التالي من هذه السلسلة.. وقدم كتابه هذا لمن يحترمون العقل والإنسان والثقافة والحضارة، ويضيء في أعماقهم شعاع من نور العصر.. لا إلى الذين يشنون حرب الإبادة لطمس حقائق التاريخ، وفرض الكهف على الآخرين.

من أبرز هذه القامات عالم الآثار الشهيد د. خالد الأسعد الذي حمى الأسرار المقدسة حول مواقع الكنوز الأثرية، وعض على جراح التعذيب التي مورست عليه لمدة شهر كامل من الأسر، حتى دفع ثمن صبره وتفانيه وحبه لبلاده وكرامته العلمية والوطنية، بأن أعدم وقطع رأسه ومثل بجثته، فصار أيقونة تُضاف إلى الأيقونات التي نقشها أجدادنا بشغفهم على صخور البادية السورية.

كان سعد الله ونوس يبحث عن إطار أو وعاء يضع فيه أفكاره النهضوية، رافضاً الواقع، متمرداً على آلياته، متأثراً بالنزعة القومية والتقدمية والاشتراكية، معتقداً أن الصحافة التي درسها قد تشكل له رافداً في صوغ هذه الأفكار، ليجد في المسرح، رسالة تصل إلى جميع شرائح المجتمع، رغم حداثة المسرح في التربة العربية، معتبراً أنه أكثر الفنون قابلية لحل الصراعات الاجتماعية والجدل الفكري وللكشف عن الجوانب الإنسانية.

لم يثنه المسرح عن الكتابة في القصة والرواية والمقالات طالما تعبر عن أفكاره التي رافقته حتى آخر يوم في حياته التي كانت مليئة بالمعاني النبيلة.

الكاتب ديب علي حسن الذي لا يحرث أرض إبداعه إلا إذا كانت خصبة، ورغم تشخيصه للأثر السلبي الذي يلعبه الإعلام والثقافة إن تخليا عن قيمهما الإنسانية والحضارية، فقد باتا برأيه أداة بيد من يريد السيطرة والاستغلال والهيمنة على مصائر الشعوب.

زاوية حادة..

نهر من وجع

غسان شمة

ذات وجع موغل في جرح الإنسان النازف عبر تاريخه الطويل، قال ألبير كامو: «حاولي أن تدركي أن لا شيء يعادل الظلم الذي أنزلوه بالإنسان»... والتاريخ البشري في تدفق نهر آلامه يحصد روح الإنسان بمنجله الكبير الحاد، ذلك أن الحقيقة «الثابتة» تشير إلى أن الإنسان ما زال ضحية أطماع الإنسان نفسه، والتي لا تنتهي بقدر ما تتفاقم بالتوازي مع ارتفاع منسوب القسوة والقوة لأفراد وأمم لن تعد القيم الإنسانية، في قاموسها، أكثر من شعارات للتبجح الفارغ في عمقه مقابل الممارسة على أرض الواقع.

إن الثابت، الأكثر ووضوحاً، في مسيرة التاريخ البشري، الفردي والجمعي بوجه عام، ومنذ تفتحت عينا الإنسان على لذة الملكية والامتلاك وتفاقم المشاعر الذكورية في طورها القريب من التوحش، هو الصراع من أجل تحقيق ذلك بكل الوسائل الممكنة تحت رعاية «الغاية تبرر الوسيلة» قبل ظهور هذه المقولة وبعدها، وهو ما أكدته الحروب والمعارك والغزوات وأشكال الاستعمار المختلفة بشعاراتها «البراقة» التي كذبها الفعل على أرض الواقع.

عندما بدأت بوادر الحداثة الأوروبية و«بشائر التحضر»، وراحت تقيم نوعاً من القطيعة مع تاريخها الماضي، بتكويناته الأكثر رعباً، وبدت كما لو أنها تعيد للإنسان والإنسانية قيمها السامية، وتعاظم شأن الأفكار والإيديولوجيات في هذا المسار، الذي لم يتجاوز كثيراً محتواه النظري، حتى سقط «الإنسان» نفسه في امتحان الواقع مستعيداً ومستمراً في سيرته الأولى لكن بفكر أكثر خبثاً وأدوات أكثر توحشاً، وها هو «العالم القادر « يشهد اليوم بؤراً من الإجرام والتوحش الذي ينقض كل المعاهدات ذات «المحتوى الإنساني» وحرية الشعوب في تقرير مصيرها وحرية الفرد، ويتصدى رأس المال والقوة الفاجرة واجهة العالم دون خجل مهما كان حجم الجريمة وبشاعتها طالما يخدم ذلك الإمبريالية الأكثر توحشاً.. ولنا في ما يحدث في غزة وفلسطين، وبقاع أخرى من العالم، نماذج تخجل كل ذي فكر إنساني حر، وما أقل ذلك اليوم في هذا العالم الموغل في وهم سيطرته الكلية بدافع القوة العارية فقط.

الهوية والتحديات المصيرية

عبد الحميد غانم

يعد موضوع الهوية واحداً من الموضوعات السياسية، التي تتصدر الندوات والنقاشات السياسية والفكرية العربية في الآونة الأخيرة، وفي السابق.

يبدو أن إثارة هذا الموضوع تأكيد على تزايد التحديات التي تفرضها العولمة على الشعوب والتحديات الراهنه العالميه التقنيه والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

المهم اليوم في ظلّ هذه التحديات الراهنة، يواجهنا تحدي سؤال الهوية.. وهو سؤال حقيقي ومصيري تواجهه الأمة العربية.

وعندما نقول: «إن العرب أصيبوا بصدمة عميقة زلزلت كيانهم ومزقته، وفرضّت بقوة سؤال الهوية في مواجهة الآخر الغربي (العدو)».

سؤال يطرح نفسه أمام التحديات التي تواجهها الهوية العربية لاسيما في مضامينها القومية والدينية ورفضاً لما يروّجه الغرب وحداثته جملة وتفصيلاً، ولأنها كانت خط الدفاع الأول عن الذات القومية الغزوالاستعماري.. فقد كانت الهوية مقبولة من الجميع حتى في صورتها الأكثر إمعاناً في المغالاة.

يقول المفكر العربي التونسي الدكتور محمد صالح الهرماسي في كتابه :«مقاربة في تأصيل الفكر القومي»: «لقد بدأ في سنوات الاستقلال الأولى أن الايدولوجيا الوطنية التحديثية نجحت إلى حدّ ما في تهميش الهوية العربية الإسلامية وبناء هوية عديمة الصلة بالعمق الحضاري على أساس وطني وقطري.. التي هي مزيج من الأحداث التاريخية والبطولات الوطنية وقيم الحداثة الغربية وشعارات التنمية والرفاهية.».

لكن تفجر الأزمات السياسية والاقتصادية في العالم، لم يلبث أن كشف ضعف وتهافت الهويات المصطنعة، وأعاد الهوية الأصلية المهمشة بقوة إلى الفضاءات السياسية والثقافية.

لذلك نحن أمام ما نشهده اليوم من عوده قويه إلى التأكيد على ثوابت الهوية يبدو أن رداً طبيعياً على التحديات الداخلية تواجهها الأمه والتحديات الخارجية مصدرها الاختيارات السياسية والحداثة المشوهة وخارجية العولمة المتوحشة والليبرالية الجديدة الأميركية الزاحفة.

مفهوم هوية أي مجتمع ما متصلة إلى حدّ كبير بما يسمى المصطلح الشائع والقوميات، وهو مفهوم حديث نسبياً ومرتبط أساساً لتمييزالقوميات في القرن التاسع عشر.

ولعلّ خطاب الهوية وثيق الصلة بالخطاب القومي، فهل يعتبر خطاب الهوية الوريث التاريخي للخطاب القومي، كما يتساءل الدكتور الهرماسي.

لا شك أن هذا السؤال هو اعتراف ضمني باستنفاد مضامين الخطاب القومي لاسيما عند من يقولون بموت الايدولوجيا القومية، ويرون أنه ليس من المعقول في العالم المعاصر التحدث عن الشخصية القومية.

هذا ما يتروج على الصعيد العالمي والعربي.. ونحن نقول :إن الثقافة لا ترث القومية، ولا تحل محلها، وما يحدث في حالتنا العربية هنا هو أن القومية العربية تستنفر كلّ قواها لاسيما الثقافية منها في مواجهة الغزوالثقافي الجديد الذي يستهدف ثقافتنا، والتي تستهدف ثقافتنا، وتكون مدخلاً لتذويب هويتنا، ذلك لأن استهداف الثقافة مدخل لتذويب الهوية.

والهوية القومية تختلف عن الهوية الوطنية، فالأولى تتعلق بالأمة، والثانية تتعلق بالدولة.. ويمكن القول: إنه إذا أقامت الأمة دولتها الواحدة كانت لها هوية وطنية، يمكن اعتبارها لقاء طبيعياً بين الأمة والدولة.

كما أن هويتنا القومية، تؤكد بما لا يدعو مجالاً للشك بأنها أمة متميزة عن غيرها من الأمم. أما إذا كانت الأمة مقسمة إلى دول متعددة كالأمة العربية مثلاً فإن هويتها تبقى عرضة للضعف والتآكل والانتكاس بسبب ما يخترقها يومياً من عوامل التفتت والهدم متمثلة في الدعاوي القطرية والعشائرية والطائفية وغيرها داخل هذا الصعيد الداخلي.

أما على الصعيد الخارجي، هناك الاحتلال والعدوان والغزو الثقافي والغزو الإعلامي، وإذا كان غياب الوحدة السياسية العربية لا يلغي الهوية العربية، فمن المؤكد كما يقول الدكتور الهرماسي إن قيام الوحدة سيصبغ على الهوية عمقاً ومتانة وشرعية لا تتمتع بها الآن.

إن حصر الهوية الوطنية بالنسبة الى الأمة متعددة الدول في توحيد الأمة في دولة قومية واحدة لا يكون دقيقاً ولا واقعياً لأن هذا الموقف يتخالف بين الدول القطريه ذلك الموقف الذي كلسته بعض المفاهيم القومية المتطرفة بعيداً عن الموضوعية.

لكن في حال الأمة متعددة الدول، كالأمة العربية، تبرزأمامنا الهوية القومية رغم ضعف التعبيرعنها في أقطارأخرى، تبرز كهوية عامة ومشتركة بين هذه الدول.

كما تبرز الهوية الوطنية الخاصة بكلّ دولة كالهوية المصرية والهوية السورية والهوية التونسية والهوية العراقية والهوية السودانية، وكلّ الهويات الأخرى.

لكن علاقة الهوية الوطنية بالهوية القومية الأم ليست علاقة انفصال وصراع ونفي متبادل، كما يقول الدكتور الهرماسي، بل هي علاقة تفاعل وتكامل بين العموميه القوميه والخصوصيات الوطنيه.

وهنا نأتي إلى الحديث عن الهوية القطرية أي الهوية الوطنية للدولة لكن ما يشاع في الخطاب القومي من استخدام مفهوم القطرية يكون عاده نقيضاً لمفهوم القومية ومقالات بعض التيارات الوطنيه في انكار الهوية القومية، ما حمل الهوية القطرية معنى مناقضاً، وحتى معادياً للهوية القومية، وربما كان من الأكثر دقة أن نتحدث عن نزاعات وطنية أو قطرية متطرفة، وحتى عن نزعات طائفيه وإثنية.

كما أن مفهوم الهوية القومية، لم يخل من نزعات متطرفة أيضاً ترى في هذه الهوية جوهراً ثابتاً منغلقاً ومعطلاً لا يحتمل المناقشة مما يؤدي إلى النظرة الخاطئة للعلاقة بين الهوية الوطنية والهوية القومية القائمة على العداء.

مفهوم الهوية - عند الجابري - حالة ديناميكية ونزوعها نحو الهدف في العربي ليس وجوداً جامداً، ولا هي ثابتة جاهزة، إنها هوية تتشكل وتصير، ولذلك فإنه يكون الإنسان عربياً وليس فقط مغربياً أو مصرياً أو عراقياً أو سورياً إلى آخره.. هو أن يكون عروبياً أي نزولاً نحو تعزيز الوحدة الثقافية العربية القائمة بوحدة اقتصاديه ونوع ما من الوحدة السياسية.

كما أن هوية العربي عند الجابري هي أن يشعر بأنه عربي فعلاً عندما يتعرض شعب أو فرد إلى عدوان أجنبي، وهذا ما نلمسه في الواقع عامة، وفي واقعنا العربي تخصيصاً، حيث يتأجج الشعور بالهوية العربية، كلما نشطت آلة العدوان الصهيوني، وازدادت صلافة قادتها، كما يحدث اليوم في غزه وما يجري على الأرض الفلسطينية المحتلة، وما يستهدف في العدوان الصهيوني لجنوب لبنان ولليمن ولسورية.

هناك ممن يحمل مفهوم الهوية حتى السمات السيكولوجيه والمعطيات السياسيه بما في ذلك الدوله الواحدة التي تضم الأمة. يقول الدكتور الهرماسي إذا كانت الدولة ضرورة لاكتمال الهوية الثقافيه وبروز خصوصيتها الحضارية، فإنها ليست مكوناً ضرورياً من مكوناتها وإلا فإننا سنضطرلانفارالهوية الثقافية لأمم وشعوب ما زالت تناضل من أجل أن يكون لها وطن ودول.

أما بالنسبة إلى الأمة العربية التي لم تحقق دولتها القومية الواحدة بعد فإن الثقافة القومية لا تتوقف في وجودها على قيام هذه الدولة ولكن قطعاً ستكون هوية أقوى وأقدر على الفعل عالمياً لو قامت تلك الهوية.

يبدو أن المتغيرات المصيرية الخطيرة التي تصيب الهوية، وقد تقضي عليها تتعلق بتغيير مكوناتها الثابتة كلياً. أما المتغيرات المألوفة لها، فهي تلك التي تتعلق بتغيير مكوناتها الثابتة منظوراً لها على أنها مرجعيات أساسية في تحديد الهوية، فقد تجد جماعة ما في إحدى المكونات الثابتة مرجعاً أساسياً في تحديد الهوية.

ذاكرة

قتيبة الشهابي: أنا مؤرخ يلهو بالطب..

واحد من أهم الموثقين العرب الذين أثروا المكتبة العربية بالوثيقة المزدوجة تاريخاً وصورة، حاورناه منذ عقدين من الزمن، وكان المرض ينهش جسده لكنه قاوم وأعطى وزرع فينا الكثير من الثقة في هذه الفسحة من الذاكرة إحياء لذكراه نستعيد بعضاً من الحوار معه.

قتيبة الشهابي.. اسم ما إن يتردد حتى يقفز إلى الذهن شريط طويل من العطاء اللامتناهي، تقفز إلى الواجهة أوابد دمشق، أزقتها شوارعها، صروحها المعمارية الخالدة تتراءى أمامك لوحة لا تستطيع أن تحدها أو أن تقف عند نهاية لها، فالرجل في قمة العطاء وإن كان قد بلغ السبعين من العمر وتجاوزها إلى الثالثة بعد السبعين.. كل يوم يفاجئك أنه نبع ثر يعطي بلا حدود، لا يسأل عن الشارب ولا عن الذين قد يلقون الحصى في مجرى النبع إن لم يحسنوا التقدير.

قتيبة الشهابي كنت أظنه شيخاً طاعناً في السن غارقاً في مجلدات تاريخية تزينها (عين الكاميرا) لم يكن يخطر في بالي أنه طبيب أسنان، نعم طبيب أسنان، واليد المبدعة لا تقف عند مهنة الحياة، بل تتجاوز مهنة العمل إلى الإبداع في مجال آخر.. قتيبة الشهابي..الطبيب، المؤرخ الباحث.. الرسام.. الشاعر الذي حطم قلمه بعد أول خفقة قلب وبعد أن كان الصيد.. القاص الذي غادر لغة(الحكي) إلى لغة أخرى بعد أن نال جائزة في القصة.. المصور الذي خبر لغة الصورة وأبدع فيها.. قتيبة الشهابي لم نتذكره إلا مؤخراً وإن كنا لم ننسه لكننا آثرنا أن يكون حوارنا معه دافئاً متدفقاً، توقعنا أن تكون الكآبة والصمت عنواناً يلف وقته بعد أن سمعنا بمرضه لكنه كان الأكثر حيوية وشباباً وأملاً.

حياة وذكريات

حياتي كتابي مفتوح، ليس لدي أي أسرار أخفيها هكذا بدأ د.الشهابي حديثه، ففي الشام ولد،١٩٣٤ وكان جده(قمائمقام) في قطنا ريف دمشق، أما أبوه فيحمل الجنسيتين السورية واللبنانية ومازالوا يمتلكون منزلاً في جنوب لبنان حتى اليوم، لكن العدو الإسرائيلي لم يبق من بيتهم الحجري الجميل إلا الجدران فقط، حتى الأشجار المعمرة المحيطة بها قطعها بأكملها، لكنه لن يفرط به أبداً، ويبقى جرح لبنان جرحنا وتبقى الشام وبيروت في البلوى معا مهما نعق الناعقون.

من المهنة الإنسانية إلى العالمية

مؤهلي العلمي: دكتور في جراحة الأسنان، وقد درست دراسات عليا في طب الإسنان بلندن في إنكلترا، وأحمل شهادة اختصاص في مداواة الأسنان كنت عضواً للهيئة التعليمية في كلية طب الأسنان بجامعة دمشق١٩٦٣ - ١٩٩٤.

ورغم كل الشهادات التي أحملها،لم تكن لي رغبة في البدء بالطب، وبقيت شهراً كاملاً أبكي، لأنني لم أفهم في الكلية ولا كلمة، لكني أمتلك - والحمد لله - إرادة صلبة، حتى إن زوجتي تلقبني ب-(السوبرمان) إرادتي الحديدية هذه جعلتني أدرس وأتابع لا بل أتفوق ومرضاي يشهدون على ذلك.

× كيف إذاً بدأت حكايتك مع أوابد دمشق تصويراً وتوثيقاً حتى أصبحت باحثاً في التراث التاريخي والأثري ليس لدمشق فقط بل لسورية والتاريخ الإسلامي؟

مغرم تصوير وعاشق للكاميرا

منذ صغري - أي عندما كنت طفلاً عمري عشر سنوات أحببت الكاميرا، وأول واحدة اقتنيتها في تلك السن كانت قيمتها ورقة سورية واحدة، لدي في مرسمي متحف للكاميرات بمختلف أنواعها، بدأت كهاوٍ ثم أصبحت محترفاً، أما كيف أصبحت باحثاً في التراث التاريخي والأثري، فالحكاية بدأت عام ١٩٥٨ عندما كلفتني د.نجاح العطار بالبحث التاريخي، وهنا أود أن أذكر أن مؤرخينا، من ابن عساكر وإن كنت لا أعتبره مؤرخاً، وإنما واضع خطط لدمشق، حاراتها.. أزقتها.. فهو وسواه، كابن شداد وابن عبد الهادي لم يرصدوا مخطط المدينة، ولم يذكروا المواقع، ولو بشكل تقريبي، فهناك فرق بين أن توثق، وأن توثق وتصور بعدستك كمؤلف من خلال بحث ميداني، والمؤرخ يمكن أن يخطئ وقد يكذب أو يكتب عكس قناعاته وأحياناً يفرض عليه أن يكتب بهذا الاتجاه أو ذاك، أما الكاميرا فلا يمكن أن تكذب أو تخطئ، الصورة لها خصوصيتها إذ تجعل التوثيق أكثر مصداقية، ونحن اليوم في عصر الصورة، أو بالأحرى ثقافة الصورة، التي أصبحت تعبر وتتكلم وتلعب دوراً كبيراً في بيان الحقيقة، وأنا شخصياً أحترم الصورة أكثر من أي كتاب، ثم إن التصوير بالأبيض والأسود له جوه الخاص ونكهته، ففي عصر الديجيتال لا يوجد حماية للصورة كم كنت أتمنى لو أن الكاميرا كانت معي عندما حدثت مجزرة البرلمان ١٩٤٥ في العدوان الفرنسي على سورية حتى أنقل ذلك المنظر الشنيع الذي لن أنساه ما حييت.

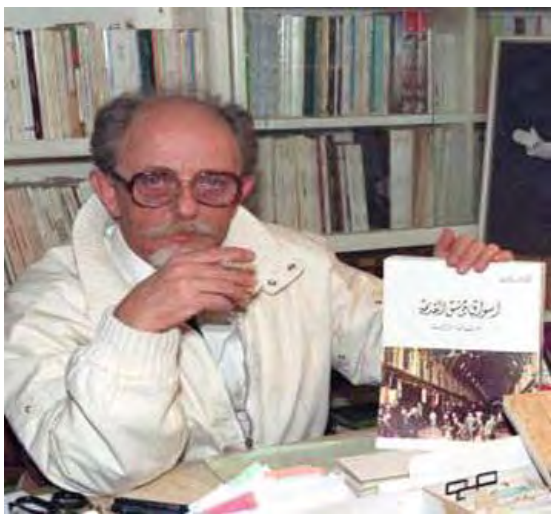

ذكرت في كتبك أن هناك صعوبات واجهتها أثناء عملك التوثيقي هلا ذكرت لنا بعضاً منها؟

أولها وأهمها، مصادر المعلومات، فهي قليلة جداً وغير كافية، فبعض المؤرخين تقصدوا ألا يذكروا أحداثاً معينة لغاية في أنفسهم، مع أن تاريخنا لا يكتبه إلا المنتصرون، ففي كتاب رواد الطيران العرب مثلاً، بحثت في المصادر العربية فلم أجد سوى بحث يتيم للسوداوي عبد الحميد حاولت أن أبحث في المصادر الأجنبية فلم تسعفني لأنها كانت غاية في الشح، ولم تعترف بأن العرب كان لهم الريادة والفضل في اكتشاف الطيران، وأن منهم من دفع حياته ثمناً غالياً من أجل ذلك، كعباس بن فرناس، وإنما يعتبرون أن لهم السبق في هذا المجال، وأنهم أول من اكتشف الطيران.

من ملامح الطفولة

ملامح الطفولة غنية بالتفاصيل، وقد لا تكون حاضرة بشكل دائم، ولكنها في كثير من الأحايين تأتي وكأنها ينابيع الربيع، بعد أن كانت ينبوعاً دائماً، والآن تشظت وصارت ينابيع عديدة ولكن لا بأس أن نقف عند بعض ملامحها ولا سيما أثناء المرحلة الابتدائية.

لم أكن متميزاً

أثناء المرحلة الابتدائية كانت دراستي في مدرسة(دوحة الأدب) وكان ذلك أثناء الاحتلال الفرنسي، وقد تم تأسيس هذه المدرسة رداً على المدارس الفرنسية آنئذ، وكان أساتذتها عرباً، أذكر أن مديرتها كانت(عادلة بيهم) وكانت صارمة وحازمة مع ذلك كانت حنونة، وقد درستني السيدة أمل الجزائري، واللافت أن عدد البنات كان(٣٠) بنتاً والشباب(٤).

شهدت مجزرة البرلمان..

ومن جعبة الذاكرة يقف د.قتيبة الشهابي عند المجزرة المروعة التي ارتكبها الفرنسيون بحق حماية البرلمان السوري يقول: كان بيتنا مقابل بستان الرئيس حيث كان منزل الرئيس شكري القوتلي وكان آنئذ مريضاً، وكان ابنه حسان زميلي، ركبنا سيارة سوداء وذهبنا إلى البرلمان لقد رأيت منظراً لا أنساه ما حييت جثثا متفحمة، رؤوساً مقطوعة، مقاعد محطمة ديكورات مهشمة وكان عمري آنئذ بحدود ١٥ عاماً.

الثانوية الأدبية وطب الأسنان

ومن المفاجآت التي حملها إلينا د. قتيبة الشهابي أن أباه لم يسمح له أن يدرس الحقوق، وكان الوالد محامياً ولكن المفاجأة الكبرى كانت عندما أعلن أنه دخل طب الأسنان بعد أن نال الشهادة الثانوية الفرع الأدبي، وهنا أسأله: ألا تخاف أن تطلب منك وزارة التعليم العالي أن تعيد الثانوية بالفرع العلمي لتعترف بشهادتك،.. فيرد ضاحكاً وزوجتي الأستاذة الجامعية في طب الأسنان جراحة تجميل الشهادة الثانوية الفرع الأدبي. وكان ذلك مسموحاً للفرع الأدبي.

سوبرمان يسعى لتحقيق أهدافه..

وحين نسأل السيدة زوجته عن العلاقة مع المبدع يقول قتيبة بادئاً: إنها تقول عني (سوبرمان) لأنني أتحدى المصاعب والمرض والمعاناة وتكمل زوجته الدكتورة: إنه طبيب ناجح ومتميز ومبدع ولكنه لا يسعى إلا لتحقيق أهدافه، لا يعمل في البيت شيئاً إنه اتكالي، لكنه يرد ضاحكاً: ألا أساعدك الآن في(جلي الصحون..) فترد هي: نعم بعد مرضك.. وتضيف: إنه مثال الإنسان الذي نذر حياته للعلم والمعرفة لم يثنه شيء عن ممارسة مهنته بكل نبل وإخلاص وعمل من أجل الثقافة العربية لقد زاوج بين الطب والإبداع، وكان الإبداع صوراً ملونة وجميلة يغني عمله الطبي، والعكس صحيح فهو الطبيب والمؤرخ والمصور المبدع أقانيم متماهية.

مكتبتي الشخصية إرث أعتز به..

توقفنا مع د. قتيبة حول مصير مكتبته الشخصية وسألناه: بعد عمر مديد لمن ستؤول مكتبتك.. فرد قائلاً.. لا أعرف أي مصير ينتظرها، مكتبات كثيرة ذهبت أدراج الرياح، مكتبات أخرى اهديت للمكتبة الوطنية.. أبنائي ليسوا هنا، ولا أظن أنهم سوف يستفيدون منها، على كل حال لقد شغلتم بالي بهذا السؤال لم أفكر بعد في مصيرها.

بل مؤرخ

وعندما نسأل ضيفنا أين يجد نفسه فيقدم ما قاله(روبنس) سفير بريطانيا بباريس، وكان فناناً شهيراً، إذ سئل من قبل أحد الصحفيين: هل يلهو سيدي السفير بالرسم؟ فأجاب: لا ولكنني الهو بالسفارة وأنا اقول: نعم أنا المؤرخ يلهو بالطب ولست طبيباً يلهو بالتاريخ، الطب زادي المادي، والتاريخ زادي المعنوي.

نعيش عصر التيه...؟

وحين نسأله: لماذا لا يعترف الغرب بإبداعنا، يجيب نحن لم نقدم أنفسنا للآخر بشكل جيد على الإطلاق نقلنا خلافاتنا وأحقادنا إلى الغرب حيث حللنا ليس لدينا خطط ولا استراتيجيات ولا وسائل إعلام تخاطب الآخر، إننا نعيش عصر التيه..

الرحالة العرب لم ينصفوا دمشق

ويرى أن الرحالة العرب بدءاً من ابن بطوطة ووصولاً إلى من شئت منهم لم يكونوا منصفين في وصفهم لمدينة دمشق، بل إقول إن الرحالة الغربيين هم من أنصفها ولا سيما الفارس دارفيو وأشير إلى ما قاله الشاعر لا مارتين عندما زار دمشق ومر في خان أسعد باشا وقال: إن أمة تملك مهندسين يبنون مثل هذا الصرح لهي أمة جديرة بالحياة.

لا أخاف الموت..

وحين نسأله بخجل عن مرضه: يجيب لقد قهرت هذا المرض الخبيث اللعين، ولست آبهاً به على الإطلاق، ولا أخاف الموت لقد واجهت الآلام بالعمل والأمل، وسأعمل دون كلل أو ملل، لا يعنيني ما أنا به سوى أنه يعيقني عما أريد تنفيذه، وما أكثر ما لدي من طموح وما أقل ما حققت من هذا الطموح. ولست نادماً على الطريق الذي اخترته في حياتي على الإطلاق لقد كان مثمراً وأعتز بما قدمته، وأتمنى لو يمتد بي العمر لأنجز الكثير مما لدي.

ما وراء تأنيث المجتمع المعاصر؟

سناء الشامي

اليوم مع ثورة التكنولوجيا والمعلوماتية تراجع التصنيع، بل بدأ التراجع تدريجياً منذ السبعينات بعد أن فكك المجتمعات المحلية وأدى إلى عزل الرجل والمرأة معاً ولتحويل العزلة إلى حرب دعمت الرأسمالية مالياً وإعلامياً الحركات النسوية ليس لغرض الدفاع عن حقوقهن ضد استغلال الرجل لهن ولكن من إجل إبراز وتمجيد الذات الأنثوية وتحجيم معنى الأمومة، ولتهميش صورة الرجل وكسر قوته كإله يحمي الأسرة ويعيلها ولإضعاف دور أبوته الرأسمالية في الوقت ذاته شجعت الأنثى على الاستقلالية بجسدها، فشرّعت قوانين تسمح لها بالإجهاض، وسمحت بتأجير الأرحام وحاربت الحجاب وصنعت الإرهاب الديني، ليس فقط لتسيطر على موارد الشعوب، وإنما لتحارب العقيدة، فاليوم عقيدة المسلمين هي المستهدفة، ويحاولون استعمال المرأة وإغرائها لتطبيق النموذج الغربي، الذي به قضوا على إيمان وعقيدة الشعوب الأوربية.

لذلك اليوم المرأة يجب أن تدافع عن هويتها وهوية مجتمعها من خلال الوعي والتمسك بالعقيدة السليمة، والعقيدة غير مرتبطة بدين معين.

الثورات الصناعية جميعها، عملت على ولادة المجتمع الجماهيري وعلى انفجار الصراعات الاجتماعية وأزمة النماذج التقليدية في كل العالم، وتم اختبار النظام السياسي الليبرالي بشدة من قبل القومية والإمبريالية التي أثرت على جميع القوى الأوروبية والعربية، ومهدت الطريق لكوارث الحروب الكبرى، وكان تعميق الخلاف بين المرأة والرجل استراتيجية حتمية لإضعاف وتفتيت المجتمعات من الداخل.

اليوم مع ثورة التكنولوجيا، يدفعون لتأنيث الذكر، وجعل الأنثى ذكراً، حكومة الدنمارك مثلاً، أعلنت تمويلها ودعمها لكل من يريد أن يقوم بعملية التحويل الجنسي.

اليوم في أوروبا تنتشر إيديولوجية الإنسان كنوع اجتماعي ويدفعون بشدة نحو اختفاء الذكر: في العقود الأخيرة، ركزت الأيديولوجيات النسوية، اللواتي ينشرن أيديولوجية النوع الاجتماعي اليوم) بشكل كبير على حب الظهور وعلى التفوق على الذكر، وغالباً ما يقلدن الرجال ويحتقرونهم، لدرجة أن الجنس الذكوري أصبح يكره نفسه ويميل أكثر فأكثر للتأنيث.

إن ظاهرة تأنيث المجتمع المعاصر تخفي مخططات هدّامة ضد الرجل والمرأة معاً، وللأسف بدأت تغزو مجتمعاتنا العربية من عدة وجوه، لايمكن أن ننظر لحقوق المرأة بمنأى عن وضع الرجل وبمنأى عن الموديل السياسي والاقتصادي السائدين في كل مجتمع، وخصوصاً في دول المركز التي تصدّر سياساتها وأشكال إقتصادها إلى البلدان العربية والنامية، وتفرض عليها رسم حياة اجتماعية تناسب مصالحها مستغلة هشاشة واقع المجتمع نساءً ورجالاً.

من أكبر المخاطر التي تواجه المرأة العربية اليوم هو عدم امتلاكها لأدوات المعرفة والمهارات البنّاءة و غياب الوعي اليوم أكثر من أي يوم مضى، يحدث في البلدان العربية تغيير جذري للنسيج الاجتماعي، و ليس هناك استراتيجيات تنموية و توعوية قادرة على توظيف التكنولوجيا لصالح المرأة والرجل معاً.

دور المرأة اليوم يجب أن يكون بطولياً للدفاع عن نسيجها الإجتماعي، وعن هويتها التي لا يمكن فصلها عن هوية الرجل، فهو مقياس إنوثتها وبالعكس، وبدونه لا يمكن خياطة النسيج الاجتماعي، حقوق المرأة تُحفظ عندما تقوم بتربية الذكر على التوازن وعلى احترام الجانب المكمّل لشخصيته، ألا وهو المرأة والله في كتابه العظيم قال: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، أي من نفس واحد منها الذكر والأنثى، والواو حرف عطف تربط وتوحّد، دور المرأة اليوم أن تنشر المؤازرة بين النساء، ودحض ثقافة المرأة عدو المرأة، ففي المجتمعات العربية ما زالت زوجة الابن تُعامل كعدو وأسرة الزوجة أو الزوج مثل شر يجب تجنبه، وهذا غالباً ما يسبب ضغوطات نفسية ومادية هائلة على المرأة والرجل في حياتهما اليومية، على المرأة أن تدعم المرأة، ولا تقلل من شأنها أو تعمل على إحباطها بسبب الغيرة، الوحدة بين النساء شرط أساسي لبناء المجتمع وحماية حقوقها. يجب أن تعي المرأة اليوم بأنها مستهدفة من نظام إمبريالي يفرض منظومته الفكرية و الثقافية المدمرة و يرى في المرأة سلعة و سلاح فعّال وفتاك لتفتيت المجتمع من الداخل و لتمرير أهداف الليبيرالية ضد الإسلام بالذات، لأن الغرب يخشى بالدرجة الأولى الإسلام، وحروبه الجديدة لها شكل جديد اسمه الليبيرالية الحديثة، والمرأة وقودها لأنه مدرك بالقوة الطبيعية للمرأة في بناء الأسرة و المجتمع و كما استعمل الدين لتفريق المجتمعات، يستعمل أيضاً المرأة لطحن ما قام بتجزأته. إن تغيير أو بالأحرى تحسين أوضاع المرأة، يبدأ بالوعي الكامل والشامل للمسير التاريخي ومقارنته مع واقع الحال، وما يُطبخه بهدوء جزارة الليبيرالية لدوام سلطة الغرب على الشرق نسخة الحروب الصليبية الحديثة لها إخراج جديد وسيناريوهات محدّثة، لكن المحتوى لم يتبدل يوماً، ولن يتبدل إن لم يلدّله الشرق نفسه بكل فئاته.

قطوف

سرقات حضاريّة

علي حبيب

سرق الغرب العلم والمعرفة من حضارتنا العربية وأعاد صياغتها والبناء عليها مما كتبه الباحث المؤرخ تامر الزغاري نقدم لكم ما نشره موقع الأستاذ أحمد داوود المؤرخ العربي الذي كرّس ومازال كل جهده لتصحيح ما يجب تصحيحه من تاريخنا المظلوم.

علماء الغرب سرقوا اكتشافات القمر من العرب وسجلوها بأسمائهم لم ينظروا للسماء بل لكتب العرب فمثلاً غاليليو غاليلي اكتشافاته نقلها من كتب العرب، وهذا كتاب عربي قديم بإيطاليا.

في هذا المقال سنتحدث عن العالم الإيطالي غاليليو غاليلي الذي سجل الكثير من الاكتشافات والاختراعات باسمه.

فادعى غاليليو أنه هو الذي اخترع التلسكوب، وفي الحقيقة أن هذا الاختراع قام بسرقته من العالم العباسي أبو حامد الاسطرلابي ومنه أيضاً سرق رصد الأقمار حول الكواكب حيث أخذه من مخطوطة «الأبعاد والأجرام»، وهذه المخطوطة موجودة اليوم في أوكسفورد بعد أن كانت في إيطاليا.

وادعى غاليليو أنه اكتشف دوران الأرض حول محورها، وفي الحقيقة قام بسرقة هذا الاكتشاف بحذافيره من كتاب العالم العباسي البيروني «مفتاح علم الفلك».

وادعى غاليليو أنه هو الذي اكتشف خطأ نظرية «مركزية الأرض»، ولكن الحقيقة أنه سرق هذا الاكتشاف من العالم العباسي ابن الشاطر الذي أثبت أن الأرض والكواكب هي التي تدور حول الشمس بانتظام وليس الكواكب والشمس هي التي تدور حول الأرض، وهذا موجود في كتابه «نهاية السول في تصحيح الأصول»، وهذا الكتاب العظيم منه نقل غاليليو غاليلي.

والسرقة من كتب العرب هي السبب الحقيقي في فشل غاليليو غاليلي في إثبات هذه الاكتشافات عندما دخل في مناظرات مع العلماء ورهبان الكنائس فليس هو صاحب هذه الاكتشافات ولا يستند لدليل مادي يعتمد عليه، بعكس العلماء العباسيين أصحاب هذه الاكتشافات، والذي كانوا يستندون لقيام الخلفاء العباسيين ببناء المراصد في مختلف أنحاء الدولة العباسية، ففي عهد الدولة العباسية تم تطبيق نظام الرصد أي الملاحظة العلمية بعد أن كانت الحضارات السابقة علم الفلك لديهم علماً نظرياً مجرداً من الملاحظة والرصد.

والصورة المرفقة مع المقال هي لصفحة من مخطوطة للعالم العباسي البيروني، والتي فيها عرض أطوار القمر وفي كل صفحة يعرض أشكالاً أخرى لهذه الأطوار وذلك بحسب اكتمال الشهر العربي أو عدم اكتماله، هذه الصفحة الرائعة التي تنقلنا إلى العصر العباسي الرائع والتي فصلت تفصيلاً أطوار القمر ثم أتى غاليليو غاليلي بعد ٨٠٠ عام ليرسم الرسمة نفسها ويدعي أنه مكتشفها.

صباح الأبجدية سيل النسيان

بادر سيف - الجزائر

يولد صباحي من صدرِ الكواكب
من كشف يجيء مسرعاً
بزي الفتوحات... سوف أنحني بهيكل
الشعر
قرب سيل جامح
أردد مؤالفة الخير
حيث تتراقص غواية التكوين
ألهو بسر السيل
المعانق لسيف النهايات
ومن شلال الأبجدية
أنسخ أجساد لنجوم تروح
في طرب رجيم الى مشيمة النسيان
أيتها الأقدام المبتهجة بتباطؤ
الحاضر
سأفجر تحتك ثلج الحضارات
أسوي من ذرى المسك
نبيا للخير
يقيم بمجرة التهجد ولسع
المصادفات
فأنا مثلك أيها السابح في
ترانيم الطباق
أقرأ كتب العطش
وأسفار الهجر
--- ---- ---
البحر سفينة مصادفة يسحبها
شاعر كئيب عبر لجج الدهشة
ولا تتدفق لآلئ الزمان
في شرايين الدهشة
البحر نشوة الموازين
ألحان مترامية صوب صخر اللذة
ولي بذروة النواح
متتاليات البراءة سندس الخطيئة
لأكسر وسادة الرمل
المتشعب في شبكة النار
التي لا تصيد إلا دلائل التيه
البحر لحظة زرقاء تزحف
تتناثر بقبضة الأهداب
البحر كجرائد الصباح
ممل، لكنه يسكن منحدر النسيان
يعسوب يلطخ صفحة التاريخ
يقلد مصاعد الأيك
في خيلاء الموج تقبله ريح
تحمل طينة الهجر
إلى غياهب الذاكرة لتحصد
مآتم من زبد.
---- ---- ----
تشردت خيول الذكريات في مروج
من شموع الغابات
امنحيني أيتها الريح حكمة
التآخي
امنحيني أيتها الأسماء حكمة
الأجداد امنحني أيها الحظ
مكابدة الكواكب
أنياب الضمور، فجيعة الفراش
فأنا بسم إبرة سجين
لأني فسرت وحشة النبات
لما تهيج صور الشتاء
--- ---- ---
لكل وجه صرة تربطه بجبل
القضاء، لكل مساواة وجه
من ضوء الفراشات
ينسج من مرآة المراثي
تراتيل ذكرى
امنحيني أيتها القباب
مظلة سهر
كي أفسر أحضان السماء
فأنا على عجالة من حنو
الدروب
لتشفع لي أسماء الكواكب
عند حراس الجمر... لكل وجه آية و
آيتك نوم
الأغاني بموطن السهر
أيها الوجه الملطخ بشهوة
التجاويف
ومرارات المزج بين سلافة
البحر وسواد الجدائل
--- ---- ---
نزلت بأرخبيل التمني، لألعق
من جرف السهر، نسيت أسماء
المراجع
صليت ركعة لأزيل شعث
عن تاريخ الطمث الخمري
صفقت لمهرج الصبح
لأنشر مشاهد القبر مدارات
لصبية يذبحون ظلالهم
وبمخازن الدخان أفرغت خزائن
الهمس لينعكس عرى
الضرورة صوب صوان العشق
لطخت عشب الهوامش
بمدارات برج النار
عبر خصر الدباغ إلى رفوف النظر
خرجت فوضى الزهر إلى كأس المعنى.

حيناً... وكنّا

علم عبد اللطيف

حيثُما ينمو الحنينُ..وطيفُها
من حولنا
والباب مُوصَدْ.
كنّا نحاولُ فكّ أحجيةٍ
فلم ننزع حجاباً
كان من حرفينِ اكتفاءٌ..
فيهما..
لغةٌ وأبجدْ.
قد كان توقاً لا يُزيل سكينةً
فرجوتُه ألّا يغادر
كي يَفي حق الإقامة فيهما
مُتَوسّداً في الوسط كان
إني رأيت مقامَه
فيه تمدّدْ.
ورأيتُني ليلاً أسيرُ
بسُهده
ويدلّني صُبحاً إليه
ضوؤه
يا للقصيدِ..
أدارَ في ليلي وصبحي
من كؤوس حضوره
وهو الذي.. قد كان في قلبي
تردّدْ.
مازلتُ أذكرُ خطوَه
فيه أحَالَتْ أبجديّةُ وجهَه
نُعمى من الحبرِ العبيق
وارتضَتْ منه تقيمُ وليمةً لحروفها..
لكأنّ ذاك المُحتفى بقدومِه
نادتْهُ كي يلجَ المخاضَ مبكّراً
أنثى ولودٌ..
من أثيرِ دمائِها
اعتاد أن يأتي
ويولدْ.
لكأنّ كلّ مَطالع الشعراء
أو بعضاً كثيراً
ليس فيها ما يَفي بسلامها
كيما تحفّز ذاتَها
أو تستثيرُ... تقول
اصمد.
ونخالُ بعضَ صفاتِها
قد شاكستْ حالاتِها
وحَكَتْ حياةً .. أو صلاةً..
أو مماتاً
فيها منازل أمعَنَتْ بخرابها
فيها الأحبّةُ..
خلتُهمْ وزناً..وقافيةً ومعنىً
في منائر سقفها المنهار
وُجِدَت لتُعْبَدْ.

اللا رجوع

قحطان بيرقدار

سأُحْرِمُ مِن جِهَةِ اللارُجُوعِ
هُنالكَ مِيقاتيَ الأزَلِيُّ
ومَهْدُ حنيني العتيقُ إليكِ
ومَهبِطُ أوّلِ آياتِ شَوْقي
وحيثُ وَهبتُكِ عُمْرِيَ نحْلَهْ...
جِبالٌ مِنَ النُّورِ أصعدُها كي أراكِ
وبينَ يديكِ يَطِيبُ الوقوفُ
أُناجِي السّماءَ التي قد أضأتِ
وأتْبَعُ صَوتَكِ
حتّى يُغَيِّبَني مَوْجُهُ في التّجلّي
أُلبّي نِداءَكِ...
لَبّيكِ يا مَنْ
وَضعتُ على بابِها الرُّوحَ طِفلَهْ!..

دموع الحلم

محسن محمد فندي

عندما يلبس الحلم ملحفة الدُّموع
تفيض بيّارة الحنين بفاكهة النّفوس
لا مرجل الشّوق ينكفئ
ولا تراتيل المسابيح
تجلب طمأنينة القلوب
فالآية (ماتلك بيمينك ياموسى)
أعلنت قدسية النُّور في زيتونة شرقيّة
الغوى،
فأبكتنا على نافذة الرؤيا
فلا رأينا ولا باتت على أعتابنا صور
فالقلب والوطن توأمان،
لن ينفصلا في ماهية العشق،
فكلما أسقطنا منارة الروح
غبنا في ديجور الأنفس
اللاهثة خلف أنانيتها
المفرطة في حبّ التملك
فكيف سنفتح للأنوار
طاقة تنير دروبنا
المظلمة
وكيف سنخاطب الوجود
بلغةٍ نحملها لعبة المواءمة
بين ماضٍ راكمنا فيه
بطولاتنا الزائفة
وحاضرٍ تعلمنا منه
جنون العظمة
وحرقنا بنار التكاوين
أشباهنا على عتبة الانتماء
الطيني
وأبقينا برج النار يلهبنا
بجمر الضغينة،
وما زلنا نرفع القبعات لهذا
القادم الوحشي
يفتك بالنفوس وبالوطن
فاليوم ... تمزقنا على شتات
البلدان
وأعلنت الأرقام مقابرنا
الجماعية
فلا الآس ينفع ولا الأكف
تبرع في الدّعاء
فمتى استجابت السماء
للمارقين
كما الفيل من سمِّ الخياط.

حين تغدو

ليلى مصطفى

حين تغدو
الحياةُ
كذبةً
مثلَ اللاّشيء
تخيطُ قلبكَ
القديمَ وتَبكيهِ
تودُ احتضانَهُ من
اللّحظاتِ الشّائكةِ
وهَمّ الدّمعِ
حينَ يصيرُ
الوجعُ هائلاً
ك خشونةِ أكفّ
أعمارِنا الرّاجفةِ
كما الحرائقِ الشّاسعة
يستوطِنُكَ ولا يغادرُ

حين تهزمُكَ المدنُ
وأشواقُها السمراءُ
يصيرُ للبكاء جسدٌ
بطعمِ الملحِ
المارقِ على
الضُلوعِ المكسورةِ
حين تذوبُ فيكَ ذاتُكَ
تدورُ ... تدورُ
ك درويشٍ يرتوي
من فداحةِ الأبيضِ
حتى الوداعةِ المربكةِ
مشغول برجفةِ الخمرةِ
ونداءِ التّلاشي
يساهرُ دمعةَ الكأسِ الأخيرِ
على مزاجِ الفراغِ

وهي تلتَفُ حولَ الدّماغِ
مذ أولى العتباتِ
حتى آخرِ الرّوحِ
حين يصيرُ
العطرُ مطراً
مكسورَ الرّنينِ
أتفقّدُ أصابعي
العالقةَ على صوتِكَ
كالشّتاءِ الأخيرِ
وأنتَ تفيضُ
في عينيّ
أمضي إليّ
أحملُ قلبي
ألتصقُ بعزلتِهِ السّحيقةِ
ك وطنٍ منتهي الصّلاحيّة.

مشواري

منى حبابة

مشواري بعيوني المها.
المتعب طويلا..
وأنا أقرأ لك ديوانك وما خضته
في عراك مع الكلمات.
ولكن عبث
وأنا أرى بها جلدك للذات..
من رؤوس الأقلام النافقات
تنشد من بردى سواقيه.
ويتدلل بآفاقه عليك الفرات
لو كنت ذا جبل.
ماكنت بالوادي تتسلق الأمنيات.
ولا كنت في الحضور رسما.
تنجو بألوانك المنمنمات.
رأيت الحب مطيرا.
ورأيت الحبر طيرًا يلوذ برتل الأمسيات
فغناء الروح تلهث به ورودا.
كما يدثره ربيعًا فاق فصولاً شاكيات
قرأت عنوانًا لو كان معطفا
لما ساقه بردًا ولا كان يرتجف من سائلات
عنوانك لم يصل طريقًا لينته فردوسا
بل ضل بين السطور راحلاً بالخاتمات.